وتُفتتح هذه الاجتماعات بصلاةٍ الى الروح القدس يطلبون منهُ بان يجمع كلمتهم الى الصواب ويملأهم بمواهبهِ لخير الكنيسة الاعظم

ثم يعرض الكمرلنغ على اخوتهِ الاحكام التي لا بُدَّ من فصلها فيحكمون فيها على اغلبيَّة الاصوات. وعلى منضدة منفردة كاتب اسرار يدوّن ما اتَّفق عليهِ الكرادلة. وفي هذه الاجتماعات يقرأ الحكمدار ما ورد على الكرسيّ الرسولي من الرسائل البرقيَّة بخصوص وفاة البابا ويستشيرهم في الجواب. وعند نهاية الاجتماع يدخل سفراء الدول فيقدّمون باسم حكومتهم التعازي لمجمع الكرادلة واذا دخل السفير جثا ثلاثًا كانَّ البابا حيّ ثم يفوه واقفًا بخطبةٍ شفاهيَّة وينبئ باملهِ انَّ خلف الميت يعزّي قريبًا الكنيسة المترملة ثم يقف الكرادلة اجمعون ويجيب باسمهم اقدمهم سنًّا على خطاب السفير ويكلّفهُ ان يبلّغ دولتهُ شكر الكرسيّ الرسولي على عبارات الولاء التي بُلّغوها مع ابداء الامل بان الدولتين لا تزالان في حبٍ (التتمَّة لعدد آخر)

شذرات في اصل القهوة

للدكتور بطرس كُيك مدرس فنّ الصيدلي في مكتبنا الطبيّ

لو جُمع كلُّ ما صنّفهُ الكتَّاب في القهوة ووصفها لبلغ الأضابير المضبَّرة فمن ثمَّ لستُ ادَّعي باكتشاف شيء جديد في تعريف هذا النبات الثمين وانَّما جمعتُ شذراتٍ في هذا المعنى احببتُ ان ادوّنها في هذه المجلة لافادة القرَّاء.

انَّ للقهوة كما لسائر المحصولات التي تُعدّ الآن من قوت الانسان الضروريّ احاديث غريبة واقاصيص عجيبة يتناقلها الجمهور. فمن قائل انَّ داود النبي هو اوّل من وقف على خواصّها وربّ زاعمٍ روى انَّها اقدم منهُ عهدًا. وممَّا يُخبَر انَّ رئيس دير في جزيرة العرب خرج يومًا الى الصحراء فرأى قطيعًا من المعزى كان يرعى بعضها اغصان شجرة فتنشط باكلها وتمرح وكانت الشجرة شجرة القهوة فاستدلَّ بذلك على ما لحبوبها من القوّة. وقد ذهب مرهج بن نمرون الماروني في كتابٍ طبعهُ باللاتينيَّة في رومية العظمى (١ سنة ١٦٦١ الى انَّ اوّل من اطَّلع على خواصّ القهوة راهبان نصرانيَّان

(١ F. Naironi : *de salubri potione* « Cahve » *seu* « Cafe » *nuncupata discursus*, Romæ, 1661, p. 8.

يدعوهما «Sciadli» و«Aïdrus» يريد الشاذلي وحيدر. الّا انَّ هذا الكاتب قد وهم في قولهِ انهما راهبان لانّ الشاذلي هو ابو الحسن عليّ الشاذلي صاحب الطريقة الشاذليَّة المتوفى سنة ٦٥٦ للهجرة (١٢٥٨ م) وحيدر هو شيخ الشيوخ حيدر الصوفي صاحب الطريقة الحيدريَّة الذي اشاع استعمال نبات القنَّب اي الحشيشة بين الفقراء.

فان عُدنا الى التاريخ الصحيح بعد ذكر هذه الروايات الضعيفة وجدنا ان القهوة حديثة الاستعمال وانَّها دخلت في الاصقاع الاوربيَّة زمنًا قليلًا بعد شيوعها بين العرب. ومن ثم لا صحَّة لما ورد في معجم ميرات ودي لنس (Mérat et de Lens) اذ قال ان بني اسرائيل واليونان عرفوا خواصّها

وما لا ريب فيهِ ان اطبَّاء العرب الاوّلين لم يعرفوا نبات القهوة فانَّ ابا بكر محمَّد الرازي المتوفى سنة ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م) يريد بالقهوة الخمر وهو احد اسمائها (راجع المشرق

شجرة بنّ نبتت في البستان اللاحق بكلّية القديس يوسف في بيروت

٥ : ١٠٩٧ و ١٠٩٨) وقد نظمها في فصل الخمور في كتابهِ « منافع الأغذية » فقال بعد ذكرِ الخمر القابضة : « القهوة وهو نوع من الشراب اوفق للمحرورين غير انهُ يسقط الشهوة ». ويردف قولهُ بذكر الخمرة التي تُعرض في الشمس

وكذلك جاء في اقراباذين سرابيون (من اطبّاء القرن التاسع) ان القهوة خمر بيضاء خفيفة » (١

امّا ابن سينا († ٤٢٨—١٠٣٧) فانهُ لم يذكر القهوة في جملة النباتات الطبيَّة لا باسمها ولا باسم البنّ وانّما ذكر « البان » و « البُنْك » فقال في القانون عن البان (طبعة مصر ١ : ٢٦٤) : « البان (الماهيَّة) حبُّهُ اكبر من الحمّص الى البياض ما هو ولهُ لبٌّ ليّن دهنيٌّ ». وقال عن البنك : (١ : ٢٧٠) « البنك (الماهية) هو شيء يُحمل من الهند ومن اليمن . قال بعضهم انهُ امُّ غيلان اذا نجر (ويروى نجز) فتساقط ». فترى من هذين الوصفين انهما لا يطابقان قهوة البنّ والعلماء يدعون البان باسم Mimosa aptera L. « امّا امُّ غيلان فيدعونها « Mimosa nilotica L. » وانّما ذكر اسمها في باب الشراب فظنَّ العلاّمة سپرنغل (Sprengel) انّهُ اراد بالقهوة شجرة البنّ وكذلك غُرَّ فريتاغ بهذا الاسم في معجمهِ والصواب انَّ ابن سينا عنى بالقهوة الخمر كالرازي ودونك ما كتبهُ عن الشراب قال (١ : ٤٤٢) : « الشراب (الماهية) اعني بهِ القهوة . (الخواصّ) يعدّل الفضول التي من جنس المرار والنبيذ الطريّ والغليظ الكدر يجمعان في العروق امتلاء واخلاطانيَّة (كذا) . (الاختيار) اجودهُ العتيق الرقيق الصافي العنبيّ ويختلف تناولهُ بحسب الامزجة امّا للشباب فالقدر القليل منهُ . . . » فيظهر من هذا الوصف انَّ ابن سينا يريد الخمر لا البنّ . وقد صرّح بذلك في باب الخمر حيث قال (١ : ٤٦٥) : الخمر (الماهيَّة) هو القهوة وقد ذكرناها في فصل الشين الخ . »

وكذلك عبد اللطيف († ٦٢٩—١٢٣١) لم يذكر القهوة في كتابهِ المعنون « الافادة والاعتبار في الامور المعاينة في ارض مصر » فلو عرفها لما فاتهُ ذكرها وهو قد ذكر اللوبياء وغير ذلك من الاغذية

وفي القرن العشر اشتهر كتاب المفردات لابن البيطار ومع كثرة ما جمعهُ صاحبهُ من العقاقير والنباتات لم يذكر القهوة البتَّة . وكذلك ضرب صفحاً عن القهوة معاصرهُ

١) راجع Synonima Serapionis, *trad. de Gérard de Crémone*

الكاهن العطّار مؤلف اوسع كتاب وضعهُ العرب في الموادّ الطبيَّة

وعلى راي لوكلار (Leclerc) في تاريخ الطبّ العربيّ ان اول من ذكر قهوة البنّ داود الانطاكي من اطباء القرن السادس عشر للمسيح ووصفها وصفاً بيّناً فقال (١ : ١٢١) :

« البن ثمر شجر باليمن يُغرَس حبُّهُ في آذار وينمو ويُقطف في آب ويطول نحو ثلاثة اذرع على ساق في غلظ الابهام ويزهر ابيض يُخلف حبًّا كالبندق ورُبَّما تفرطح كالباقلاء واذا قُشر انقسم نصفين. واجودهُ الرزين الاصفر وارداُهُ الاسود وهو حارٌّ في الاولى يابس في الثانية وقد شاع بردهُ ويبسهُ ولبس كذلك لانهُ مرّ وكلّ مرّ حارّ. ويمكن انَّ القشر حار ونفس البنّ امَّا معتدل او بارد في الاولى والذي يعضد بردَهُ عفوصتُهُ. وبالجملة فقد جُرب لتجفيف الرطوبات والسعال البلغمي والنزلات وفتح السُّدد وادرار البَول. وقد شاع الآن اسمهُ بالقهوة اذا حُمّص وطُبخ بالماء. وهو يسكّن غليان الدم وينفع من الجدري والحصبة والشِّرى الدمويّ لكنَّهُ يجلب الصداع الدوري ويجزل جدًّا ويُورث السهر ويولّد البواسير ويقطع الشهوة وربما افضى الى الماليخوليا فمن اراد شربَهُ للنشاط ودَفع الكسل وما ذكرناهُ فليكثر معهُ من اكل الحلو ودهن الفستق والسمن. وقومٌ يشربونهُ باللَّبن وهو خطأ يُخشى منهُ البرص »

وقد اثبت العلّامة سلفستر دي ساسي امام المستشرقين في مجموعهِ المعنون « بالانيس المفيد للطالب المستفيد » نصوصاً مختلفة في البنّ واصلهِ ونشرَ للشيخ عبد القادر بن محمّد الانصاري الجزيري الحنبلي مقالة حسنة في ذلك (١ تدعى « عمدة الصفوة في حلّ القهوة » وضعها سنة ٩٩٦ للهجرة (١٥٨٨م) وممَّا ورد فيها انَّ ظهور القهوة وانتشارها في اليمن انما كان على يد الشيخ الامام جمال الدين ابي عبد الله محمّد بن سعيد المعروف بالذَّبحانيّ نسبةً الى ذبحان بلدة باليمن. وكانت وفاة الشيخ المذكور سنة ٨٧٥ هـ (١٤٧٠ م). وقد اسند الشيخ عبد القادر هذه الرواية الى شهاب الدين بن عبد الغفّار وفخر الدين ابي بكر بن ابي يزيد ثمَّ اردف الشيخ ابن عبد الغفّار قائلاً : « ويُحتمل ان يكون الذبحاني اوَّل من ادخلها عدن كما هو المشهور ويُحتمل ان الذي ادخلها غيرُهُ ولكنَّها نُسبت اليهِ لكونهِ كان هو السبب في ظهورها وانتشارها »

وهذا القول لا يصحّ سوى في اليمن لانَّ بلاداً غيرها عرفتهُ قبل ذلك. وممَّا لا ينكر ان الحبش كانوا يستعملون البنّ قبل هذا العهد وكانوا يأكلون حبَّهُ نيًّا ويتنقَّلون

١) راجع المشرق (٢ : ٦٦٨)

بهِ . وكان انتشار القهوة في مصر بعد حدوثها في اليمن بقليل ادخلها مصر بعض فقراء اليمن كانوا يشربونها ليطيلوا السهر ويذهبوا الكسل . وروى دي ساسي عن جيهان نوما الجغرافيّ التركيّ انَّ احد الدمشقيين فتح في الاستانة العليَّة حانوتًا سنة ٩٦٢ هـ (١٥٥٥ م) كان يجتمع فيهِ الاعيان والادباء ويشربون القهوة فدُعي ناديهم بمدرسة العلماء

هذا ولا اذكر هنا ما اصاب من المحن شُرَّاب القهوة . فمن اراد الوقوف على ذلك فعليهِ بكتاب عبد القادر . ولعلَّ السبب في ذلك انَّ بعض الائمة غرَّهم اسم القهوة الذي كان يدلُّ في اوَّل الامر على الخمر وهي محرَّمة على المسلمين كما لا يخفى فأفتوا بتحريم قهوة البنّ ايضًا لظنهم انَّها من الخمور والمشروبات الروحيَّة . والفرق بينهما ظاهر . وكذلك لم يفرق البعض بين البنّ الذي نحن بصددهِ وحبوب البان والبُنْك التي وصفناها سابقًا نقلًا عن ابن سينا

*

بقي علينا ان نذكر تاريخ انتشار القهوة في الاصقاع الاوربيَّة تتمَّة للفائدة . فنقول انَّ سنة دخول القهوة في اوربَّة ليست معروفة الَّا انهُ يمكننا تعريف ذلك على التقريب فانَّ بطرس بلون (P. Belon) الذي طاف بلاد الدولة العليَّة ومصر وجزيرة سينا بين السنتين ١٥٤٦ و ١٥٤٩ لم يذكر القهوة مع انَّهُ اتَّسع في وصف النباتات التي وجدها وافاض في اطعمة الاهلين الذين زارهم وذكر اصناف اغذيتهم وهذا دليل على انهُ لم يرَ البنّ وانَّ استعمالهُ وقتئذٍ كان قليلًا منحصرًا . وعلى رأي لوكلار انَّ اول من ذكر القهوة في اوربَّة انما هو كلوزيوس (Clusius) في كتابٍ تولى نشرهُ كان وضعهُ الطبيب غرسية اورتا فسمَّاهُ : « تاريخ بعض الافاويه والعقاقير النابتة في الهند (١) » لكنَّهُ لم يأتِ بذكرها في الطبعة الاولى سنة ١٥٦٧ بل في الثانية فقط سنة ١٥٧٤ وفيها يقول : « انَّ الطبيب القنس بَنْسيوس من اكادمية فرَّاري ارسل اليهِ حبوبًا تُدعى بُنًّا او قهوة (Buna *ou* Elkaue) بحجم حبوب السذَّاب (Fagara, *Rutacées*) لكنَّها اعرض واطول منها لونها ارمد وقشرها رقيق في وسطها خطّ مستطيل يمتدّ بين طرفيها بحيث يمكن قسمها

(١) راجع Garcia Orta : *Aromatum et simplicium aliquot medicamentorum apud Indos nascentium historia.*

فلقين وفي كل منهما حبّة مستطيلة سويّة من احد جانبيها ضاربة الى الصفرة في طعمها عفوصة. ويقال انّ اهل الاسكندريّة يتّخذون منها شرابًا مبرّدًا وقد اضاف الى هذا الوصف صورة الحبوب كما تراها

حبوب البنّ كما رسم شكلها پَنْسيوس

وفي سنة ١٥٩١ نشر پروسپر ألپين (Prosper Alpin) كتابهُ في طبّ المصريين وألحقهُ في السنة التالية بكتاب نباتات مصر وقد وصف في كليهما البنّ وصفًا مستوفيًا فقال في بعض مخاطباتهِ عن نباتات مصر (ص ٢٦) « قد رأيتَ في حديقة احد الاتراك اسمهُ حالي بك شجرة لا تُعرف صورتها تنبت حبوبًا يدعونها بنًّا (Bon *ou* Ban) يستحضر منها المصريّون والعرب شرابًا معروفًا يسمّى قهوة يشربونهُ بدلًا من الخمر واصل هذه الحبوب من اليمن. والشجرة التي عاينتُها تشبه البَجَلة (fusain) الّا انّ ورقها اصفق واصلب وهي اشدّ منها خضرةً وتبقى خضراء ابدًا ». فيجيبهُ مخاطبهُ غيلندينوس انّ ابن سينا ذكر اغراسهُ (وقد مر بك ان ابن سينا لم يعرف البنّ). ثم يثبتُ في كتابهِ رسم شجرة البنّ كما تراها هنا

صورة شجرة البنّ كما رسمها پروسپر ألپين

وزاد في كتابهِ عن طب المصريين (١١٨ و ١٢٢) انّ اهل مصر يطبخون القهوة ويشربونها صباحًا قبل الطعام وانّ نساءهم يتّخذنها لاستدرار الحيض

وكان انتشار القهوة في اوربّة بطيئًا كما يظهر من قول بطرس

پومه (P. Pomet) سنة ١٦٩٤ : « ان القهوة او البنّ ثمر شجرة يشبه ساقها اللوبياء . روى ذلك كاتب محدث ولمّا لم اثق بقولهِ آثرتُ نقل ما كتبهُ بوهين (Bauhin) الشهير من العلماء الأثبات وهو يسند كلامهُ الى ذوي الخبرة قال : ان البنّ ثمر شجرة اصل حبوبها من اليمن والشجرة شبيهة بالبجلة ورقها صفيق اخضر ابدًا . وقد رسمتُ صورة الشجرة بثمرها (انظر الشكل في هذه الصفحة) ثم يذكر پومه خواصّ البن الجيّد. ويحذّر من وَضع اكياس البن في ماء البحر لئلاَّ يتلف قد سبق ان الحبش اكلوا البنّ نيًّا منذ زمن مديد وان استعمالهُ كشراب بعد تحميص الحبوب لا يرتقي الى ما وراء القرن السادس عشر . وتزيد هنا نقلًا عن عبد القادر الجزيري طريقة استحضار القهوة : « يكون وذلك على نوعين اما ان تُعَدّ بوضع

شجرة البنّ بثمرها كما رسمها پومه

القشر وحدهُ فتدعى القشريّة واما ان يتّخذ البن الحجَم المدقوق وهي البُنّيّة في ماء ثم يُغلى عليهِ حتى يُخرج خلاصتَهُ » . واول من اشار الى اتخاذ الماء البارد مع القهوة هو قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهّاب بن يعقوب الملكي وكان يزعم « ان

الماء البـــارد مما يفيدها رطوبة المزاج ويقلّ يُبسها ولا يكون السهر حينئذٍ شديدًا »

اما اشتقاق اسم القهوة فقد عرفهُ الاوربيون منـــذ نحو ٢٠٠ سنة قال لامري (Lémery) سنة ١٧١٤ في معجمهِ ما تعريبهُ : ان اصل القهوة من فعل عربي معناهُ اذهب الشهوة . وهذا نفس ما يقولهُ العرب قالوا سُمّيت بالقهوة لأنهـــا تُقهي شاربها عن الطعام والخمر اي تُذهب بشهوتهِ . وفي هذه الشذرات كفاية لغرضنا . ولله الحمد

Bibliographie

Abd-allatif : *Relation de l'Egypte, trad. de Sacy, in* 4° *Paris,* 1810 .= Abou-l-Mana *dit* Cohen al-'Attar : منهاج الدكّان *texte arabe, in*-4° *Caire,* 1319 *H.*= Alpin Prosper : *De Medicina Aegyptiorum, in*-4° *Venise,* 1591. = idem : *De plantis Aegypti, in*-4° *Venise,* 1592. = Avicenne : قانون ابن سينا *texte arabe, in-fol. Rome,* 1593; et *Boulak,* 1294 *H.* = Belon (Pierre du Mans) : *Les observations de plusieurs singularités etc. in*-4°, *Paris,* 1553. = Daoud al Antaki : تذكرة أولي الالباب *texte arabe,* 3 *vol. in*-4°, *Caire,* 1281 *H.* = Freitag : *Lexicon arabico-latinum,* 4 *vol. in*-4° *Halis Saxonum,* 1830. = Garcia ab Horto : *Aromatum et simplicium aliquot medicamentorum apud Indos nascentium historia, trad. latine de C. Clusius. Anvers* 1574. = Ibn el Beithar : كتاب المفردات *trad. Leclerc,* 3 *vol. in*-4° *Paris,* 1877-1883. = Lémery : *Dictionnaire des drogues simples, in*-4° *Paris,* 1714. = Mérat *et* Lens : *Dictionnaire universel de matière médicale,* 7 *vol. in*-8° *Paris* 1820-1846. = Pomet (Pierre) : *Histoire générale des drogues, in-fol. Paris,* 1694. = Razès : منافع الاغذية *texte arabe, in*-4° *Caire,* 1305 *H,* = de Sacy : *Chrestomathie arabe,* 3 *vol. in*-8° *Paris* 1826-27. = Serapion : *Practica, Synonima, in-fol. Venise,* 1497. = Sprengel : *Historia rei herbariae,* 2 *vol. in*-8° *Amsterdam,* 1807-08.